الإدراك العقلي عند ابن سينا

بقلم

دكتور

عبد الفتاح عبد الكريم

تمهيد :

لقد قسم ابن سينا قوى النفس الناطقة إلى قسمين :قوة عاملة وقوة عالمة ، وكل واحدة من القوتين تسمى عقلا باشتراك الأسم ، فالعاملة قوة هى مبدأ محرك لبدن الإنسان إلى الأفاعيل الجزئية الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصها ولها اعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية النزوعيه ، واعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية المتخيلة واعتبار بالقياس إلى نفسها .

وقياسها إلى القوة الحيوانيه النزوعية ، أن تحدث فيها هيئات تخص الإنسان تتهيأ بها لسرعة فعل وانفعال ، مثل الخجل والحياء والضحك والبكاء وما أشبه ذلك .

وقياسها إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة هو أن تستعملها فى استنباط التدابير فى الأمور الكائنة والفاسدة واستنباط الصناعات الإنسانيه ، قياسها إلى نفسها أن فيا بينهما وبين العقل النظرى ، تتولد الآراء الذائعة المشهوره ، مثل أن الكذب قبيح والظلم قبيح وما أشبه ذلك .

وانطلاقا من تعريف النفس عند ابن سينا نتحدث عن قضية الإدراك العقلى ، وسوف يتضح لنا بالمقارنة بينه وبين الأسكندر الافروديسى أن ابن سينا يتفق معه ، فى أن العقل الأخير خارج النفس الإنسانية وليس جزءا من أجزائها ، وأن العقل الهيولانى ما هو إلا مجرد استعداد فى الانسان للمعرفة .

واستطاع ابن سينا أن يكون رأيا حول قضية العقل تحرر به عن الصعوبات التى كانت تواجه الفلسفتين المشائيه والاسلامية .

وقبل أن نتكلم عن الادراك العقلى عند ابن سينا يجدر بنا أن نتكلم

عن هذا الإدراك عنـــد أرسطو والفارابى لنر هل تأثرا بن سينا بهما أم لا .

أرسطو :

ذهب أرسطوا إلى أن موضـــوع العقل من الصعوبة بمكان بحيث لا يستطيع الإنسان تكوين فكرة واضحة عن هـذا الموضوع حيث يقول / : « ولكن فيما يخص العقل والقوة النظرية ليس الأمر واضحا بعد ، غير أنه يبدو أن ههنا نوعا من النفس مختلفا وأنها وحدها يمكن أن تفارق الجسم ، كما يفرق الأزلى عن الفانى »[1].

والمتأمل فى هذه العبارة يرى أنها غامضة بحيث لا نستطيع أن نصل إلى مقصوده من خلالها وهل هـذا الخلود بالنسبة إلى مختلف الوظائف العقلية أو يخص بعض الوظائف دون بعض ؟ الحقيقة أنه ليس هنـاك دليل واحد يبرر هذا الأعتقاد ، لأن أرسطوا : يفرق بين كل من العقل الهيولانى والعقل الفعال

يقول أوسطو : « ذلك أننا نميز من جهة العقل الذى يشبه الهيولى لأنه يصبح جميع المعقولات ومن جهـــة أخرى يشبه العلة الفاعلة لأنه يجعلها جميعا »[2] .

عبارة يحيط بها الغموض لأننا لانستطيع أن نفهم ماذا يريد أرسطو بكل من هذين العقلين :

(١) أرسطو الكتاب الثانى النفس ص ٤٧ تحقيق د . الأهوانى .
(٢) المرجع السابق الكتاب الثالث ص ١١٢

« أما العقل الهيولانى أو المنفعل عنده فهو ذلك الجزء من النفس ، الذى من شأنه أن يكون محلا أو مستودعا يقبل معانى الأشياء ، ويعيد كل المعقولات ويجب أن تكون نسبة هذا العقل إلى المعقولات كنسبة المادة إلى الصورة أو القوة إلى الفعل مع بقائه على استعداد لقبول المعانى ، دون أن يتحد بها ويمكن بيان الصلة بينه وبين المعانى ، إذا قلنا أن الصلة بينه وبينها تشبه الصلة التى توجد بين القوة الحسية وبين الأشياء الخارجية ، فكما أن الأحساس لا يختلط بالأشياء المحسوسة ولا يتحد معها فكذلك الأمر فيما يتعلق بهذا العقل ، فأنه محل للمعانى ولكنه مستقل عنها » (١) .

والعقل المنفعل لايعتد به قبل أن يفكر وقبل التفكير هو شيء بالقوة والذى يجعله خارجا من القوة إلى الفعل إنما هى الصور الكلية وهذا العقل ليس من شأنه الإمتزاج بالجسم كما أنه لا يستعين بأى عضو من الأعضاء .

يقول أرسطو : « والعقل المنفعل ، ليس شيئا بالفعل قبل أن يفكر .

ولهذا السبب أيضا يجدر بنا ألا نقول أن العقل يمتزج بالجسم ، إذ يصبح عندئذ ذا صفة محدودة إما باردا أو حارا ، بل قد يكون له له عضوا من الأعضاء ولذلك قد أصاب من زعم بأن النفس مكان الصدر على أن هذا لايصدق على الناس بكليتها ، بل على النفس العاقلة ولا يصدق على الصور بالفعل ، بل على الصور بالقوة ، أما أن عدم انفعال قوة الحس ، وعدم أنفعال قوة العقل لا يتشابهان .

---

(١) النفس والعقل ص ١٩٤ د / محمود قاسم .

فهذا إذا نظرنا إلى أعضاء الحس والحاسة ذلك أن الحاسة لاتقوى على الإدراك ، عقب تأثير محسوس قوى .

مثال ذلك أننا لا ندرك الصوت عقب سماع أصوات شديدة ، وكذلك لانستطيع أن نبصر أو نشم عقب رؤية ألوان شديدة أو روائح شديدة أما العقل عندما يعقل معقولا شديداً فإنه على العكس ، يكون أكثر قدرة على تعقل المعقولات الضعيفة ذلك أن قوة الحس لاتوجد مستقلة عن البدن على حين أن العقل مفارق له »[1] .

وهذا العقل المنفعل على حـــد تعبير أرسطو لايستطيع إدراك شيء بنفسه ، لأنه عقل بالقوة قبل مرحلة التفكير وكل ما هو عنده أنما مجرد استعداد وكل ماهو بالقوة .

لايمكن أن يصبح شيئاً بالفعل إلا بتأثير شيء آخر يوجد وجوداً فعلياً ، ومهما يكن من طبيعة هذا العقل فإنه يعجز عن إدراك أى شيء بنفسه أى بطريقة إيجابية لأنه كما يقول أرسطو عقل بالقوة ، أى مجرد استعداد وكل شيء بالقوة لايمكن أن يصبح شيئاً بالفعل إلا بتأثير أى مجرد استعداد ، شيء آخر يوجد وجوداً فعليا ، ويخرج العقل المنفعل من القوة إلى الفعل بتأثير الصور العقلية ، ولكن تبقى بعد ذلك صعوبة يجب التغلب عليها وهى كيف تستطيع هذه الصور إخراج العقل المنفعل من القوة إلى الفعل إذا كانت هى الأخرى أشياء بالقوة بمعـــنى أنها لاتوجد مستقلة »[2] .

هذا وقد أعتبر أرسطو العقل الفعال بأنه يشبه الضوء على اعتبار أن الضوء يخرج الألوان من القوة إلى الفعل أى بعد أن كانت مستترة تحت

---

(١) أرسطو — النفس — الكتاب الثالث ص ١٠٨ تحقيق الأهوانى

(٢) النفس والعقل ص ١٩٤ . د / محمود قاسم

ظلام دامس أصبحت مرئية بالفعل كذلك العقل الفعال عند أرسطو ولذلك يقول :

ذلك أننا نميز من جهة العقل الذى يشبه الهيولى لأنه يصبح جميع المعقولات ، ومن جهة أخرى العقل الذى يشبه العلة الفاعلة لأنه يحدثها جميعا ، لأنه حال شبيهة بالضوء[١].

ويعلق الدكتور / قاسم على هذه العبارة بقوله : « العقل الفعال يلقى ضوء على الصور الخيالية حتى تخرج منها العقلية إلى الفعل ، بعد أن كانت مولودة فيها بالقوة وذلك شأن الضوء الذى يفسر الأشياء ، فتبدوا ألوانها التى كانت مستترة بفعل الظلام»[٢].

ومع كل هذا فان أرسطو لم يستطع أن يبين لنا بوضوح هل العقل الفعال يعتبر جزء من النفس أو هو شىء خارج عن النفس . فمره يصف لنا هذا العقل بصفات تسمو به عن عالم الإنسان ، ومرة أخرى يعتبره فوق هذا العالم الطبيعى ولذلك يقول :

ولا نستطيع أن نقول أن هذا العقل يعقل تارة ولا يعقل تارة أخرى وعند ما يفارق فقط يصبح مختلفا عما كان بالجوهر وعندئذ فقط يكون خالدا وأزليا ... على حين أن العقل المنفعل فاسد»[٣].

وبأدنى تأمل فى هذه العبارة يتبين لنا تردده واضطرابه فى هذا الشأن ولنرى الآن ماذا يقول تلامذته عن الإدراك العقلى .

---

(١) أرسطو/النفس ص ١١٢

(٢) النفس والعقل ص ١٩٦ د/محمود قاسم.

(٣) أرسطو / النفس ص ١١٢

الاسكندر الأفروديسى :

يعتبر الاسكندر الافروديسى من أشهـــر شراح الاغريق للفلسفة الأرسطوطاليسيه ولما كان أرسطو قد ترك مشكلة العقل غامضة وعبارته مضطربه فى هذا الشأن لذلك أخذ شراحه يحاولون بقدر جهدهم إيجاد حل لهذه المشكلة. فذهب الاسكندر الأفروديسى إلى القول : بأن العقل الفعال الذى يصنع المعقولات ليس جزءا من أجزاء النفس ووظيفة من وظائفها بل هو الإله الذى يتمثل فى نفوس البشر ويقوم مقامهم فى إدراك معانى الأشياء[١] .

وحاول الاسكندر محاولة جادة تفسير الغموض الذى بدأ فى رأى أرسطو فى العقل حيث يوضح لنا رأى أرسطو من وجهة نظره إلى أن أرسطوا إستطاع التفرقة بين ثلاثة عقول :

(ا) العقل الهيولانى أو المادى : وهو مجرد الاستعداد أو القوة وهذا العقل يوجد بالقوة وليس فيه أى شىء بالفعل ، ولكنه يستطيع أن يصير جميع المعقولات أى يتحد معها[٢] .

ومن جهة نظر نرى أن أرسطو يقول : أن هذا العقل المنفعل لا يتحد بالمعقولات وإنما هو كمستودع للمعقولات دون أن يتحد معها .

(ب) العقل المكتسب : وهو العقل الأول « المنفعل » بعد أن اتحد بالصور أو المعانى العقلية وعلى حـــد تعبير د/ محمود قاسم الذى يقول : ويليه فى المرتبة عقل آخر هو العقل المكتسب . وقد قال الاسكندر

---

(١) النفس والعقل ص١٩٨ د/محمود قاسم

(٢) المرجع السابق ص١٩٨

وفوق هذا العقل المادى الذى يستطيع إدراك كل شىء ، والذى لا يدرك شيئاً على الرغم من ذلك يوجد العقل المكتسب أو بعبارة أدق ، العقل الذى هو فى إطريق الاكتساب وهو العقل الذى يفكر والذى ينتقل من القوة إلى الفعل ، وهو العقل الأول بعد أن اتحد بالصور والمعانى العقلية »[1] .

(أج) العقل الفعال : وهو العقل الذى يخرج العقل المادى من القوة إلى الفعل وهو لا يتصل بالعقل المنفعل إلا فى الوقت الذى تفكر فيه النفس ويأتى فى آخر الأمر عقل ثالث هو العقل الفعال الذى يجعل العقل المادى عقلا مكتسبا وهو السبب الذى يخرج العقل من القوة إلى الفعل . أى من مجرد الاستعداد إلى القدرة على الادراك فهو صورة مجردة ومفارقة للمادة غير أنه لا يتصل بالعقل المادى إلا فى الوقت الذى تفكر فيه النفس وهو غير قابل للفساد ، وحينئذ فهو خالد وهو كائن الهى . وهو يخلق الأشياء ، التى يحتوى عليها فلك القمر ، ويدبر أمرها ، كذلك هو الذى يخلق العقل المادى بصفه خاصة ، فإذا اتحد به لكى يدرك الأشياء فإنه يتصل بها إتصالا لا انفصام عنه ، بل هو قابل للانفصال عنه وينفصل عنه ، بحسب الحقيقة وبمجرد إنتهاء العملية العقلية ينتهى إدراك المعقولات أى أن الاتحاد بين العقلين رهن بالوقت الذى تستمر فيه عملية الادراك العقلى [2] .

وبالتأمل فى كل ماسبق من آراء الاسكندر يتضح لنا أنه يفرق بين كل من العقل الفعال والعقل بالقوة أو المادى وأنه يجعل الأول ذاتا مستقلة ليست من هذا العالم الحسى :

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٩

(٢) النفس والعقل د/محمود قاسم ص ١٩٩

آراء ثامسطيوس فى العقل :

ذهب هذا الشارح الاغريق إلى أن العقل الفعال ليس هو الله الذى يفكر ويدبر فى نفوس البشر كما يقول الاسكندر وإنما هذا العقل جزء منا أو هو حقيقتنا وهو غير قابل للفساد ألبته :

يقول الدكتور / محمود قاسم : « أعرض هذا الشارح عن تفسير الإسكندر ولم يرتضه لأنه كان يعتقد أن هذا الشارح لم يصب كبد الحقيقة وإنما أخطأ فى فهم رأى أرسطو ولم يفسره على النحو الذى كان ينبغى له أن يفعل ويرجع السبب فى ذلك إلى أن ثامسطيوس ينكر أن أرسطوا كان يرى أن العقل الفعال هو الله الذى يفكر فى نفوس البشر وذلك لأن هذا العقل جزء منا . أو هو حقيقتنا بعبارة أصح كذلك يختلف ثامسطيوس عن الاسكندر من جهة أخرى أى فيما يتصل بطبيعة العقل بالقوة فهو لايرى مثله أن هذا العقل قابل للفساد ولذلك نجده يضطره إلى التحايل على النص الصريح الذى ذكره أسطو فى هذا الشأن فقال : إن هذا الفيلسوف إنما يتحدث عن فناء العقل المشترك أى العقل الذى هو محل الانفعالات فالغضب والشهوة ومن هذا يتبين لنا : أن ثاء سطيوس يفرق فى الواقع بين ما يسميه العقل المشترك وبين مايطلق عليه اسم العقل بالقوة .

وقد طبق هذا الشارح نظرية تعاقب الصدر على مادة واحدة على الوظائف العقلية فى النفس فرتب العقول على هذا الأساس وجعل العقل الفعال آخر وظائف النفس أو آخر صورها أو صورة الصور[1]

استطاع هذا الشارح أن يبرهن على عدم فساد العقل المنفعل مع

(١) النفس والعقل ٢٠٠ . ص ٢٠١ د/ محمود قاسم

أن أرسطو قال بفساد هذا العقل وهو لذلك يتحايل على النص الذى ذكره أرسطو بفساد العقل المنفعل .

العقل عند الفارابى

قضية العقل قضية هامة لدى الفارابى، حتى أنه أخرج لها رسالة خاصة هى «رسالة فى العقل» وقد أخذت هذه القضية عند فيلسوفنا مجالا أوسع ، لارتباطها عنده بالمعرفة الحسية ، وقد ميز فى رسالته هذه بين ستة أنواع من العقول هى :

١ — «العقل الذى يقول به الجمهور بمعنى التفعل ، ويطلقونه على من كان فاضلا جيد الروية فى استنباط ما ينبغى أن يؤثر من خير أو يجتنب من شر ويمتنعون أن يطلقوا هذا الاسم على من كان جيد الروية فى استنباط ما هو شر ، بل يسمونه ماكرا»[1] .

٢ — العقل الذى يقول عنه المتكلمون ، هذا ما يوجبه العقل أو ينفيه ، والذى يقابل ما يعرف بمبادىء الرأى المشترك[2] .

٣ — العقل الذى ذكره أرسطو فى كتاب البرهان ووصفه بالمقدرة على استيعاب مبادىء القياس الأولى، ويعنى به قوة النفس التى عن طريقها يستطيع الانسان الحصول على اليقين .

بمجرد الطبع والفطرة ، دون تفكر وتأمل ، وتلك المقدمات هى مبادىء العلوم النظرية[3] .

---

(١) رسالة فى العقل للفارابى ص ٤٥ ضمن مجلد يحتوى على عدة رسائل

(٢) المرجع السابق ص ٤٧

(٣) رسالة للعقل للفارابى ص ٤٧

٤ — العقل الذى ذكره أرسطو فى المقالة الثالثة من كتاب «الأخلاق» وهو يحصل بالمواظبة على اعتياد شيء ما، ويتم عن طريق التجربة والاختبار وعن طريقة نستطيع الوصول الى أحكام صائبة فى باب الخير والشر[١].

٥ — العقل الذى يذكره أرسطو فى المقاله الثالثه من كتاب «النفس» وقد جعله على أربعة أنحاء:

(أ) العقل الهيولانى: وهو نفس ما، أو جزء من نفس، أو قوة من قوى النفس، فانه تستطيع انتزاع ماهيات الموجودات وصورها لتقترن أخيرا بها وتصبح عقلا بالفعل.

(ب) العقل بالفعل: هو العقل الأول حين حصول المعقولات فيه ابتداء وقد اتحد هـــذا العقل بالصور العقلية حين وجودها بالقوة فى الأشياء الخارجية، التى كان يمكن ادراكها ثم أصبحت مدركة بحسب الواقع[٢].

(جـ) العقل المستفاد:

وهو العقل الذى تكون الصورة المعقولة حاضرة فيه ويعقلها بالفعل ويعقل أنه عقلها، وهذا العقل المستفاد بلغ أسمى مراتب التجرد، لأنه عقل المعقولات المجردة، وأصبح قادرا على ادراك الصور المفارقة.

وهناك فرق واضح بـــين المعقولات المجردة، والصور المفارقة،

(١) انظر المرجع السابق ص ٤٧، ٤٨.

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة للفارابى ص ٥٤.

فالصور المفارقة لم تكن فى مادة أصلا هذا بخلاف المعقولات المجردة فقد كانت قبل تجردها فى مواد ثم انتزعت منها .

يقول الفارابى : « فالعقل بالفعل متى عقل المعقولات التى هى صور له . من حيث هى معقولة بالفعل ، صار العقل الذى كنا نقول أولا أنه العقل بالفعل هو الآن العقل المستفاد »[١] .

(د) العقل الفعال :

وهو عبارة عن صورة مفارقة لم تكن فى مادة أصلا يقول الفارابى :

« وأما العقل الذى ذكره أرسطو طاليس فى المقاله الثالثة من كتاب النفس ، وهو صور مفارقة ، لم تكن فى مادة ولا تكون أصلا ... وهو الذى جعل الذات التى كانت عقلا بالقوة ، وجعل المعقولات التى كانت معقولات بالقوة معقولات بالفعل[٢] .

وهو يشبة العقل المستفاد فى بعض الوجوه الذى هو بدوره عقل بالفعل .

يقول الدكتور/ كمال اليازجى «وهذا العقل هو الذى ينقل العقل البشرى من القوة الى الفعل، ويحول الصور التى هى بالقوة إلى صور بالفعل»[٣] .

٦ — العقل الفعال : — هو العقل الذى ورد ذكره عند أرسطو فى كتاب مابعد الطبيعة[٤] ، وفعله ليس متواصلا ولا ثابتا ،هذا بسبب المادة التى يفعل فيها ، فهى اما أن تكون معدومة أو غير مستعدة لتلقى الصور

(١) رسالة فى العقل ص ٥٢ (٢) رسالة فى العقل ص٥٤

(٣) تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٧٣

(٤) رسالة فى العقل ص ٤٥

الفائضة منه ، لعائق ما ومن هنا فهو يحتاج الى حامل هيولانى يفعل فيه وانتفاء عوائق تحول دون فعله .

يقول د/ كمال اليازجى « وكلاهما خارج عن قدرة العقل الفعال وهذا يدل ، فى رأى المؤلف على أن هذا العقل بعيد عن أن يكون هو المبدأ الأول لجميع الأشياء إذ هو يعتمد فى وجوده على المبدأ الأول المطلق أو الله من جهة ، وعلى الأجرام السماوية فى وجود موضوعاته من جهة أخرى[1].

من الملاحظ فى قضية العقل عند الفارابى أنه يجعل العقل المادى أو الهيولانى أدناها مرتبة ، والعقل بالفعل فى المرتبة الثانية، وهو كالصورة بالنسبة إلى العقل الهيولانى و كالمادة بالنسبة للعقل المستفاد . وأعلى هذه العقول وأسماها ، هو العقل المستفاد وهو كالصورة بالنسبة للعقل بالفعل و كالمادة بالنسبة إلى عقل آخر ليس بانسانى هو العقل الفعال .

العقل عند ابن سينا :

يذهب ابن سينا فى تقسيمة القوة الناطقة الى شعبتين أساسيتين :

الأولى : عملية ، والثانية : نظرية . وقد اعتبر العملية مصدر لجميع الحركات والأفعال فى الأعمال التى من شأنها أن تتم عن روية وهدوء، ولها صلة مباشرة بالقوة النزوعية والقوة المتخيلة — الواهمة وبذاتها وتعمل فى الحالين الأوليين بالإشتراك مع تلك القوى، فى مباشرة العمل والإسراع به . كما تشاهد أثر ذلك فى الفنون وجميع الصناعات الإنسانية ، وفى الحالة الثالثة تبعث بمشاركة العقل النظرى، والقواعد الأخلاقية العامة، وتفرض على القوى الجسدية الاعتدال ، الأمر الذى يؤدى إلى انسجامها مع مقتضيات الفضيلة[2] .

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٧٣

(٢) انظر تاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٩٢ — د/ ماجد فخرى — نقله إلى العربية كمال اليازجى

يقول ابن سينا : « قوة عاملة وقوة عالمة ، وكل واحدة من بقوتين : تسمى عقلا باشتراك الإسم ، فالعاملة قوة هى مبدأ محـــرك ليدن الإنسان إلى الأفاعيل الجزئية الخاصة بالرورتة على مقتضى آراء تخصها إصلاحية ، ولها اعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية الترويعية ، واعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية المتخيلة واعتبار بالقياس إلى نفسها . وقياسها إلى القوة الحيوانية الترويعية ، أم تحدث فيها هيئات تخص الإنسان تهيأ بها لسرعة فعل وانفعال ، مثل الخجل والحياء والضحك والبكاء وما أشبه ذلك . وقياسها إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة هو أن تستعملها فى استنباط التدابير فى الأمور الكائنة والفاسدة ، واستنباط الصناعات الإنسانية . وقياسها إلى نفسها أن فيما بينها وبين الفعل النظرى تتولد الآراء الذائعة المشهورة[1] .

وموضوع القوة النظرية الصور الكلية ، وهى إما أن تكون موجودة بالفعل فى حالة مفارقة ، وإما أن تجرد من المادية بقوة العقل ذاته ، وفى الحالة الأولى تكون معقولة بالفعل ، بينما فى الحالة الثانية تكون معقولة بالقوة ، ومن ثم فإن القوة النظرية قد تكون قابلة لإدراك هذه الصور إما بالفعل وإما بالقوة[2] .

يقول ابن سينا : « وهى قوة من شأنها أن تستطيع بالصور الكلية المجردة عن المادة ، فإن كانت مجردة بذاتها فذاك وإن لم تكن فإنها تصيرها مجردة بتجريدها إياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شىء »[3] .

وهذه القوة النظرية لها إلى هذه الصور نسب ، فقد تكون عقلا بالقوة وقد تكون عقلا بالفعل ، وقد تكون عقلا مستفادا .

---

(١) النجاة لابن سينا ص ١٦٣ ، ص ١٦٤ ط ثانية الكردى .
(٢) انظر تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٩٢ .
(٣) النجاة ص ١٦٥ ط ثانية نشر الكردى .

١ — العقل بالقوة أو العقل الهيولانى :

هو عبارة عن الاستعداد المطلق ، أو هو مجرد الاستعداد للمعرفة ، ويرجع السبب الأول لتسميتها هيولانية تشبيها لها بالهيولى الأول ، التى التى ليست بذاتها صورة من الصور وهى موضوعة لكل صورة ، وهى موجودة لدى كل شخص من النوع سواء كان بالغاً أم طفلا كما نشاهد فى حاله الخطاط الذى أتقن الكتابة ، وغدا قادرا على القيام به متى شاء [١] .

٢ — العقل الممكن أو العقل بالملكة :

يقصد به تلك القوة الهيولانية التى قد حصل فيها من الكمالات المعقولات الأولى ، وفى هذه الحالة يصبح عنده الاستعداد التام والتهيؤ الكامل ، لاكتساب المعقولات الثوانى ، ومقصود ابن سينا بالمعقولات الأولى ، هذه المقدمات التى يقع بها التصديق لاكتساب ، ودون شعورى المصدق بها . مثل اعتقادنا بأن الكل أعظم من الجزء أن الأشياء المادية لشىء واحد متساوية [٢] .

٣ — العقل بالفعل :

يقول ابن سينا : هو أن تكون الصورة المعقولة الأولية حصلت فيه إلا أنه ليس يطالعها ويرجع إليها بالفعل ، بل كأنها مخزونة عنده فمتى شاء طالع تلك الصورة فعقلها وعقل أنه عقلها .

وسمى عقلا بالفعل ، لأنه عقل ويعقل متى شاء بلا تكلف واكتساب [٣]

(١) النجاة ص ١٦٥ (٢) المرجع السابق ص ١٦٦
(٣) النجاة ص ١٦٦ ط ثانية نشر الكردى .

٤ — العقـل المستفاد :

العقل المستفاد هو الذى تكون الصورة المعقولة حاضرة فيه وهو يطالعها ويعقلها بالفعل ، ويعقل أنه يعقلها بالفعل ويبلوغ هذه المرتبة يمكن القول : أن الانسان قد بلغ الكمال ويقترب بذلك من الكائنات العليا وفى ماوراء عالم الطبيعة [١] .

يقول ابن سينا : « وتارة تكون لها نسبة ما بالفعل المطلق ، وهو أن تكون الصورة المعقولة حاضرة فيه ، وهو يطالعها ويعقلها بالفعل ويعقل أنه يعقلها بالفعل ، فيكون حينئذ عقلا مستفادا[٢] .

٥ — العقل الفعال :

يقول ابن سينا : « هو الذى يخرج بالعقل من مرحلة العقل بالملكة إلى العقل بالفعل ومن مرحلة العقل الهيولانى إلى العقل بالملكة ويشبه بالنسبة إلى نفوسنا نور الشمس بالنسبة إلى البصر »[٣] .

مقارنة بين ابن سينا والفارابى فى نظرية العقول :

بعد عرضنا لرأى ابن سينا والفارابى فى العقل ندرك مدى التشابه بينهما ومدى تأثرهما بآراء الاسكندر الافروديسى حيث أن الاسكندر جعل العقل الفعال خارج النفس الانسانية ، كما أنه هو الذى يجعل العقل بالقوة عقلا بالفعل ، غير أن الاسكندر يعتبر هذا العقل هو الله . وابن سينا والفارابى يجعلانه العقل الأخير بالنسبة للعقول المفارقة [٤] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٠ (٢) المرجع السابق ص ١٦٦

(٣) المرجع السابق ص ١٦٦ .

(٤) د/ محمود قاسم — فى النفس والعقـل ص ٣٠٠ ط رابعة — الأنجلو مصرية .

ويتفقان مع الاسكندر فى أن العقل الأخير خارج النفس الانسانية وليس جزءا من أجزائها كما أنهما يتفقان معه أيضاً فى أن العقل الهيولانى بأنه مجرد استعداد فى الانسان للمعرفة (١) .

يقول ابن سينا : « إن النفس الانسانية قد تكون عاقلة بالقوة ثم تصير عاقلة بالفعل وكل ما يخرج من القوة إلى الفعل فإنما يخرج بسبب الفعل يخرجه فهينا سبب هو الذى يخرج نفوسنا فى العقولات من القوة إلى الفعل ، وهو السبب فى إعطام الصور العقلية المجردة ، ونسبته إلى نفوسنا كنسبة الشمس إلى أبصارنا فكما أن الشمس تبصر بذاتها بالفعل ويبصر بنورها بالفعل ما ليس مبصرا بالفعل كذلك حال هذا العقل عند نفوسنا فإن القوة العقلية إذا أطلقت على الجزئيات التى فى الخيال ، وأشرق عليها نور العقل الفعال فينا استحالت مجردة عن المادة وعلائقها ، وانطبقت فى النفس الناطقة لا على أنها انفسها تنتقل من التخيل إلى العقل منا ، ولا أن المعنى المغمور فى العلائق وهو فى نفسه واعتباره فى ذاته مجرد يفعل مثل نفسه ، بل على معنى أن مطالعتها تعد النفس لأن يفيض عليها المجرد من العقل الفعال . فإن الأفكار والتأملات حركات معده للنفس نحو قبول الفيض (٢) .

موقف الاسلام من قضية الادراك العقلى :

وبعـــد : —

فهذه هى قضية الادراك العقلى عند ابن سينا ، نلمح فيها تأثره الواضح بأرسطو خاصة فيما ذهب إليه من القول : بوجود ثلاثة عناصر من كل عقل مفارق .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٢

(٢) الشفاء — الطبيعيات — النفس — لابن سينا ص ٢٠٨

يقول د / محمود قاسم : « انه كان مضطرا إلى العثور على عنصر بديل حتى يستطيع القول بأن الأجرام السماوية تشبة الأجسام التى على سطح الأرض فى أنها تتكون من مادة وصورة كما كان يقول أرسطو ..... كما تعتبر قضية العقول عند ابن سينا صدى خافت لفكرة أفلوطين عن الكون »[١] .

الإسلام يقرر فى صراحه ووضوح : أن الله واحد فى الذات فالذى يوجد عنه أولا واحد قديم بالزمان ثم يوجد لأجله موجودات كثيرة بعضها زمانى ، ويستحيل هنا قياس الغائب على الشاهد كما فعل ابن سينا ، ولأن الله فاعل مطلق ليس يصدر عنه إلا فعل مطلق والفعل مطلق لا يختص بمفعول دون مفعول[٢] .

هناك إذن فرق شاسع بين الفاعل الذى هو صورة فى مادة ، والفاعل الذى هو صورة مجردة عن المادة ، وفعله أزلى هو الذى أفاد الوجود لجميع الموجودات وفعله دائم أذلى لا فى وقت دون وقت ، وعلى هذا الأساس ينبغى أن يفهم الأمر الأول تعالى على جميع الوجودات[٣] .

أن قضية الإدراك العقلى عند ابن سينا بعيدة كل البعد عن الدين الحق والذى يفرق بين الخالق والمخلوق وتنزيه الخالق عن كل شائبه .

يقول الحق — سبحانه وتعالى — (قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين

---

(١) ابن رشد نظرية المعرفة ص ٨٧

(٢) محمد بيصار — نظرية المعرفة ص ٩٥

(٣) النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ص ٢٠٨ د / عاطف العراقى .

ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم [١] .

ويعلق الفخر الرازى بعد تفسيره لهذه الآيات بقوله: « العزيز إشارة إلى كمال القدرة ، والعليم إشارة إلى كمال العلم وما أحسن هذه الخاتمة لأن تلك الأعمال لا تكون إلا بقدرة كاملة وعلم محيط » [٢] .

ويقول الشيخ سيد قطب : « وهل يقدر على هذا كله ويمسك الوجود إلا العزيز القوى القادر ؟ وإلا العليم الخبير بالموارد والمصادر » [٣] .

فهذه الآيات وغيرها كثير فى القرآن الكريم صريحة فى مفهومها ودلالتها على أن الحق — سبحانه وتعالى — يفعل عن إرادة وفى أزمان متباينة الأمر الذى يتنافى مع هذه الأفكار التى قالها ابن سينا من الخلق والإيجاد وفيض عالم السماء منذ الأزل دفعة واحدة وفى وقت واحد .

لقد أوضح القرآن الكريم تنزيه الحق — سبحانه وتعالى — وعدم مشابهته لشىء من مخلوقاته ، قال تعالى : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) [٤] فالاسلام يثبت للخالق الإرادة المطلقة بلا قيود والاختيار الحر والإيجاد والعلم إلى غير ذلك مما ذهب إليه المبطلون .

وصدق الله العظيم القائل فى محكم تنزيله : (ولا يحيطون به علما) [٥] .

---

(١) سورة فصلت الآيات : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢

(٢) الفخر الرازى التفسير الكبير — المجلد الرابع عشر ص ١١٠

(٣) فى ظلال القرآن — السابع ص ٣٣٢ الشيخ / سيد قطب .

(٤) سورة الشورى الآية : ١١

(٥) سورة طه الآية : ١١٠

ولهذا شنع عليهم الإمام الغزالى حيث يقول: (ماذكرتموه تحكمات وهى على التحقيق ظلمات فوق ظلمات : لو حكاها الإنسان عن منام رآه لاستدل به على سوق مزاجه ولو أورد جنسه فى الفقهيات التى تصارى المطلب فيها تخمينات لقيل أنه ترهات لا تفيد غلبات الظنون) (١) .

لقد بدا واضحا تأثر ابن سينا بأرسطو والإسكندر فى جعله العقل الفعال خارج النفس الانسانية على الرغم من أن العلم الحديث يرى أن العقل يقوم بجميع الوظائف فهو الذى يدرك ويريد ولا يريد ويؤلف بين الصور المختلفة ويصل بينها على نحو جديد ويحفظ المعانى المختلفة ويدرك الصور الكلية وخالف ابن سينا الإسكندر فى جعل العقل الفعال فى أقرب الأفلاك إلينا وهو فلك القمر أما الاسكندر فيقول عن العقل الفعال أنه هو الله الذى يفكر فى نفوس البشر .

ونحن نقول مع د / النشار : كان ابن سينا تعبيرا عن فلسفة يونان ونشازا فى نسق الفكر الاسلامى فى أعماقه يعيش فى ظلال الفلسفة اليونانية سواء أكانت أفلاطونية أم أرسطاليه أم أفلوطينيه بينما كان إمام الهدى أبو الحسن الأشعرى وأتباعه من أمثال الباقلانى وإمام الحرمين والغزالى يعبرون عن روح الإسلام المنبثق من القرآن والسنة) (٢) إن هؤلاء الفلاسفة الذين تأثروا فعلا بالفلسفة اليونانية لا يمثلون الفلسفة الإسلاميه على إطلاقها، بل إن الفلسفة الاسلامية على يد فرسانها وعمالقتها المتكلمون الذين دافعوا عن العقيدة وكونوا آراء خاصة بهم لم يتناولوا أبدا الفلسفة من حيث إنتهت لدى الأفلاطونية الحديثة حيث كانت لهم فلسفة كاملة ناضجة تعبر عن حقيقة الاسلام فبين جوهر الفلسفتين تعارضا عميقا .

---

(١) تهافت الفلاسفة — ص ١٤٦ — الامام الغزالى .

(٢) نشأة الفكر الفلسفى ج ١ ص ١٨٤ — على سامى النشار .

ولا يسعنا فى النهاية إلا أن نقول : أن هذه التفرقة التى قال بها الشيخ الرئيس بين النفس بالقوة ، والعقل بالفعل هى تفرقة لا أساس لها من الصحة حيث لا يوجد إختلاف بين نفس بالقوة وعقل بالفعل أنها قوة واحدة لا تعدد فيها ولا تحول ولا إنتقال بل هى نفس باعتبار وعقل باعتبار لأنها جوهر ثابت والعلوم هى التى تتبدل عليها فالترقى والتدرج إنما هو فى درجات العلم والصيرورة إنما تلقاها فى التسمية من جهة التعلم .

يقول أبو البركات : « الجوهر لا يتغير فان العلوم للنفوس أعراض داخلة على جواهلها ، فلا يتبدل الجوهر فى جوهريته ولا تقلب عينه فى نوعيته فلا تنقلب الأعيان ولا يسير شيء شيئا على الاطلاق إلا باستبدال الحالات مع ثبات الذات والعين المتبدله »[1] .

وإذن فليست هناك حاجه إلى البحث عن العقل فعال كامن وراء هذا الانتقال هذا بالإضافة إلى أن التقسيم العقلى الذى ذهب إليه ابن سينا عقل هيولانى . وعقل بالملكة ، وعقل بالفعل ، وعقل مكتسب .

تقاسيم فاسدة حيث لا يعقل تقسيم القوة الواحدة البسيطة فهى إذن محاولة ظهر فيها الزيغ والضلال والعقل الفعال فى فلسفة ابن سينا محض خرافة يؤيد بها زعمه الباطل أن من التعقلات ومراتبها وأنواعها حتى تصل بها إلى العقل الفعال ثم إلى العقول العشرة .

يقول أبو البركات : « أننا نحقق أن العقل غير المعقول والمعقول غير العقل ، وإلا لكان العاقل إذا عقل فرسا يصير فرسا ويصير الفرس عقلا ، وكذلك إذا عقل غيره من سائر الأشياء ، وإذا عقل أشياء كثيرة يصير أشياء كثيره وهو واحد بعينه كما كان أولا فهو إنسان وفرس وشجرة

(١) المعتبر فى الحكمة ج ٣ ص ١٥١ وما بعدها — أبو البركات .

وغير ذلك وما هو شيء منها فما الفرق بينه قبل أن يعقل وبعد أن عقل[1] بات واضحا الآن فساد نظريته المقول فى أسسها وفى نتائجها لأنها فقدت المبرر المنطقى الذى ترتكز عليه وهذا ما يؤيده الدين لأن الكل صادر من الله مباشرة دون وساطه وإليه وحـــده بسند الايجاد والتأثير فى الخلق إسنادا مباشرا.

ثم بعد هذا كله لا تصلح هذه النظرية أن تكون أساس توجيه دينى لأنها لا تلتئم مع طبيعة الدين كدين، كالا تصلح أن تكون أساسا لتوجيه عقلى لما فيها من كثرة التعاريج والالتواءات، نتيجة الخلط من عدة مذاهب وآراء «ولو درى فلاسفة المسلمين المشائيون قيمة الفكر الأغريقى، وانه لم يخلص تماما من الشعر والخيال لا تروا أن يكون لهم منطق خاص بهم، ولو علموا نتائج قبولهم آراء أفلاطون وأرسطو فى شرح العقيدة من حيث هى عقيدة، لتركوا للقرآن الكريم وحده — كما هو — الطريق إلى قلوب المصدقين وعقول الخاصة من الناس»[2].

---

(١) أبو البركات المعتبر فى الحكمة ج ٣ ص ١٤٣

(٢) د. البهى، الجانب الآلهى ص ٥٦٥